على عزت بيجوفيتشودوره فى حرب البوسنة

بقلم/ محمد يوسف عدس

رحل على عزت بيجو فيتش- الرئيس السابق لجمهورية البوسنة والهرسك –عن عالمنا فى يوم الاحد التاسع من شهر اكتوبر عام2003 ،وكان فى ذلك الوقت قد اكمل من عمرة الزمنى ثمانية وسبعين عاما .اما حياتة فهى فهى اعمق من هذا واعرض ، وهذة تشمل فكرة ونشاطة وفاعليتة وانجازاتة ، فاذا اضفت ذلك الى عمرة الزمنى لوجدتة يحمل اعمارا اخرى ويتسع لحيوات كثيرة لا حياة واحدة ، فهو بحق رجل بأمة ، ومن اراد ان يدرك هذة الحقيقة علية ان يتصفح سجل افكارة واعمالة وينظر مليا فى مسيرة حياتة ونضالة .

فعزت بيجو فيتش طراز نادر فريد من البشر ونموذج حى لاستثمار الوقت اضعافا مضاعفة واستثمار القدرات و المواهب التى اودعها اللة فية فيما هو اجدى وانفع واولى بالمكث فى الحياة لم يتوقف لحظة من حياتة دون عمل نافع حتى وهو فى السجن يقضى عقوبة عن جرائم لم يرتكبها (سوى انة فيلسوف ومفكر اسلامى مناضل عنيد) ، ففى السجن كتب احد ابدع اعمالة ((فرارة الى الحرية)) سطرها فى بضعة الاف من الصفحات اودع فيها اعمق تاملاتة فى الحياة والفن والفلسفة والدين والسياسة والاخلاق واعاد النظر فى قراءاتة السابقة وتقييمة للشخصيات والمواقف التى مرت بة . لم يملأ السجن مرارة على الحياة والناس ولم يسلمة لليأس والانسحاب والاكتئاب ، بل زادة ايمانا بقيمة الحرية الانسانية ، وجعلة يوقن بان الحرية هى اعظم هبة منحها اللة للانسان ، وان الانسان مسؤل عنها امام واهبها الاعظم ، وان الدفاع عن الحرية انبل مهمة يؤديها الانسان ليس فقط نحو نفسة انما ايضا نحو الاخرين ولو كانوا اعداءة وليس هذا كلام خطابة او انشاء بل واقع مشهود ومسجل فى تاريخ الرجل ، فبعد ان تم انتخابة وتوليتة رئاسة الجمهورية سنة 1990م- لم يكن فد انقضى على خروجة من السجن سنة واحدة ، ظن بعض الناس ان فرصتة قد واتتة لينتقم من اعداءة الذين لفقوا لة التهم وزوروا شهادة الشهود وحكموا علية بالسجن مع الاشغال الشاقة ، ولمنة لم يفعل ، فلما سالة الصحفيون: الا تنتقم للظلم الذى وقع عليك ؟ قال لا انتقم الان .. ولا بعد ذلك ..نعم اننى لازلت اشعر بالظلم الشديد بينى وبين نفسى ، ولا استطيع ان احملها على نسيان التجربة المريرة ولا نسيان الوجوة الكريهة التى ارتبطت بهذة التجربة ، ولا خسة الضمائر والنفاق والكذب .. ولكنى لا انتقم ابدا فأنا الان مسؤل عن حياة هؤلاء الناس وعن حقهم فى الحرية . وبالفعل كان عدد كبير من هؤلاء لا يزالون فى وظائفهم خلال فترة حكمة لم يمسسهم باذى .. اما راس الجريمة وزير الداخلية وبعض القضاة المتحيزين فقد كنسهم التاريخ فى تراب النسيان

مثقف وثائر :

لم تكن حياة عزت بيجوفيتش هانئة او رخاءا ، رغم انة ينتمى الى اسرة عريقة كانت تتمتع بالغنى والوفرة فى عهد يوغسلافيا الملكية وكانت تتمتع بالكفاية والستر فى عهد يوغسلافيا الشيوعية . كانت حياتة مليئة بالاشواك ، حافلة بالام تكاد تكون متصلة الحلقات ، فيما عدا فترات وجيزة من طفولتة تنسم فيها نسمات السعادة والرضا ، ممما سجلة فى سيرتة الذاتية التى سجلها قبل وفاتة ببضعة اشهر . هذة الالام ما كانت تاتية من مصدر شخصى ولا اسرى ولا حتى من دائرة العمل ، فقد يسر اللة علية هذة المجالات الثلاثة ، وانما كانت الامة تتصل ببيئتة

الاجتماعية والايديولوجية الرافضة لهويتة : اولا كمسلم ثانيا كمفكر مناضل من اجل الحرية .

لقد ادرك فى وقت مبكر من حياتة ان شعبة يتعرض لظلم واضطهاد مستمرين بدرجات متفاوتة من الحدة والبطش سواء فى عهد يوغسلافيا الملكية او الشيوعية ، ولعل هذا الادراك كان هو الحافز الاكبر لة على ان يغوص فى اعماق الفكر الاوروبى حتى انة استطاع ان يقرا ويستوعب اهم الاعمال الفلسفية واكثرها اثرا فى تشكيل الثقافة الاوربية قبل ان يبلغ سن التاسعة عشر يقول عن هذة المرحلة فى سيرتة الذاتية ((لم اكن فى بداية الامر استعذب فكرة الفليسوف الالمانى ((هيجل)) وان كنت قد غيرت رايى فية بعد ذلك اما اكثر ما تاثرت بة من فلسفات فياتى على راسها فلسفة ((هنرى برجسون)) فى((التطور الحى)) وفلسفة (كانْ͙͙͙͙ت) خصوصا كتابة ((نقد العقل الخالص)) ، وكتاب من مجلدين للفيلسوف الالمانى شبنجلر بعنوان (تدهور الغرب) ...

هذا الوعى المبكر بالظلم الواقع على شعبة كان وراء اتجاهة –فى المرحلة الجامعية – الى دراسة القانون ، حتى يتمكن من الدفاع عن قضية شعبة وكان هذا ضد رغبة ابية الاصلية الذى نصحة الا يفعل ذلك لانة لن يجد بعد تخرجة فى هذا التخصص عملا فى النظام الشيوعى ، طالما انة ليس عضوا فى الحزب ، فدخل كلية الزراعة ارضاءا لابية ولكنة رغم نجاحة هجرها بعد ثلاث سنوات وعاد الى اختيارة الاول فى دراسة القانون

لا شك ان على عزت كان ثائرا متمردا ، ولكن ثورتة كانت ابعد ما يكون عن الغضب الهائج فقد كانت حكمتة وعقلة حتى فى هذا السن المبكر اسبق من ثورتة وكانت شجاعتة فى الحق وقوة فكرة ومنطقة وصلابة ارادتة بواعث لة على المواجهة العلنية ، وكوابح لة الا يلجا الى التدابير السرية والعمل تحت الارض .

لذلك كله آثر النضال الفكرى العلنى ومقارعة الحجة بحجة اقوى منها ، ومن جراء هذة الشجاعة الفكرية تعرض للسجن مرتين فى حياتة : ففى الاولى حكم علية بالسجن لمدة ثلاثة اعوام (مع الاشغال الشاقة) من سنة 1946الى سنة 1949 ، فى هذة المرة تصدى للرد على الهجوم الشرس الذى شنة الشيوعيين فى بداية حكمهم – على الاسلام والمسلمين فى البوسنة ، فقد وجد فية هجوما ظالما مليئا بالافتراءات والاكاذيب والجهل بالاسلام ، فقرر مع

مجموعة من المفكرين المسلمين ان يرد على هذة الحملة ويفندها بالحجة والبرهان ، وان يكون هذا فى اجتماع جماهيرى حاشد بمدينة سراييفو .....حيث استقبلة الجماهير بالترحاب وسفقوا وهتفوا لة بحماس منقطع النظير ، وجاء رد السلطات الشيوعية فوريا حيث قام رجال الامن بالقاء القبض علية هو وزملائة وهم لايزالون على منصة الخطابة واودعهم السجون بتهمة التحريض و((الثورة المضادة)).

تيتو والقومية الصربية

فى العهد الشيوعى ظلت السجون تستقبل المزيد من سجناء الراى والمعارضين حتى امتلات وبدات تبنى سجون جديدة ، وزادت اوضاع المسلمين سوءا حيث تصاعد البطش والقهر على يد الطاغية (الكسندر رانكوفيتش)) قائد الشرطة وساعد تيتو الايمن ، حتى عزلة تيتو من منصبة سنة 1966، ولكن بدون تحسن ملحوظ لمدة تسعة سنوات اخرى ، كان تيتو فسها قد عدل كثيرا من سياستة الداخلية والخارجية واستقرت صورتة فى العالم كقائد لحركة الحياد الايجابى وعدم الانحياز مع نهرو وعبد الناصر ، وانفتح كثيرا على العالمين العربى والاسلامى ، واخذت الكثير من الشخصيات المرموقة فى هذة البلاد تزور بلجراد وتقيم علاقات متشعبة مع يوغسلافيا حتى سنة 1975 عندما تبلورت التحسينات الدستورية والاجراءات القانونية وبدا الناس يتنفسون شيئا من الحرية ، ولكن لم تستمر الامور فى سيرها على هذا الطريق اكثر من خمس سنوات عندما توفى تيتو سنة 1980م.

بعد موت تيتو بدا عهد اخر جديد فى يوغسلافيا ... ظلت فية الهياكل السياسية والاقتصادية تتخذ نفس الاسماء الاشتراكية القديمة ولكن عوامل التاكل والتحلل كانت ماضية فيها بلا هوادة ، ليس لان نظام تيتو كان اسوا نظام فى اوروبا الشرقية بل كان افضلها ، وانما بسبب مرض يوغسلافى قديم هو القومية الصربية الكامنة فى هذا النظام .

كان جوزيب بروز تيتو بشخصيتة الكارزمية وبقوة نظامة وثاقب نظرة قادرا على كبح جماح القومية الصربية ، لقد سمح للصرب بكثير من الامتيازات والهيمنة – ضمن حدود مرسومة – على الجيش والسلطة والادارة فى يوغسلافيا ، وبقيت دائما –الخيوط بين اصابعة يجذب بعضها متى شاء ويرخى بعضها عندما يريد ، لاحداث ذلك التوازن الدقيق فى القوى المتنافرة التى تشكل دولة يوغسلافيا ، وكان يعلم ان القومية الصربية اذا انطلقت من عقالها فسوف على راس الجميع هذا النظام الذى صنعة وسهر على استمرارة طوال حياتة .

فلما مات تيتو انكشف الغطاء فجأة عن غول القومية الصربية ، وشرع القوميين الصرب يسقطون اقنعتهم الاشتراكية ويتهيئون لاستلام الميراث اليوغسلافى الكبير ، وكان اول ضحايا هذا الغول هو تيتو نفسة ونظامة الذى اقامة .

فى عقد الثمانينات انهالت على تيتو الاتهامات واعتبرت انجازات حياتة كلها اخطاء فاحشة اصلاحاتة الدستورية سنة 1975 التى منحت كوسوفا كيانا سياسيا مكافئا لمستوى الجمهوريات اليوغسلافية الاخرى التى كانت على راس هذة الاخطاء ومن هذة الاخطاء التى لا تغفر صداقتة للدول العربية والاسلامية فهذة – فى نظر القوميين الصرب – بلاد متخلفة معادية للتقدم ، وسماحة ببناء او اعادة بناء مسجد بلجراد ، وكذلك انشاء معهد للدراسات الاسلامية فى سراييفو ، كل هذة كانت موضع هجمات شرسة من جانب الكتاب الصرب من لبقوميين المتطرفين الذين ابدوا عداء سافرا للاسلام والمسلمين بصفة خاصة وللكروات الكاثوليكية بصفة عامة ، وتاكدت النزعة العنصرية الاستئصالية فى اول جولة من حرب خاطفة ضد كرواتيا حيث دمرت القوات الصربية مدينة دبروفنك الاثرية ، وعندما وقفت المانيا ومن ورائها اوربا وقفة حازمة توقف العدوان الصربى واتجة الى البوسنة ثم كوسوفا حيث جرت فيها حمامات الدم انهارا ، فيما عرف باسم التطهير العرقى . وانهارت دولة يوغسلافيا بعد ان مزقها الصرب اشلاء فلم يبق منها سوى الاسم

تجربة السجن الثانية

على خلفية الحملات الدعائية المسعورة التى شنها القوميون الصرب على الاسلام والمسلمين فى بلجراد ، استجابت السلطات الشيوعية فى سراييفو سنة 1983 باعتقال عزت بيجو فيتش مع ثلاثة عشر اخرين من المثقفين وقادة الفكر المسلمين ، ووجهت اليهم تهمة ((الثورة المضادة))

التأمر لقلب نظام الحكم ، وانفرد عزت بيجو فيتش بتهمة اضافية هى الاصولية و الرغبة فى انشاء دولة اسلامية فى البوسنة والهرسك مقصورة على المسلمين ، بعد تطهيرها من السكان الارثوذكس (الصرب) والكاثوليك (الكروات)

لم يكن فى حوزة هؤلاء اسلحة ولا ميليشيات مدربة ولم يكن هناك منشورات ولا مظاهرات ولا اجندة اجتاعات سرية ، وكان دليل الاتهام الوحيد هو كتاب عزت بيجو فيتش ((الاعلان الاسلامى))

حفزنى شخصيا الى ترجمتة ان اعرف ما فى هذا الكتاب مما يمكن ان يشكل اتهاما كالذى وجهتة الية السلطات الشيوعية ولدهشتى لم اجد فى هذا الكتاب ذكرا ولا اشارة واحدة من قريب او بعيد الى البوسنة ولا يوغسلافيا ، وانما هو معنى بشؤن خاصة بالفكر الاسلامى والبلاد المسلمة خارج اوروبا ، بل يحتوى على الكثير من النقد للمجتمعات المسلمة ويقدم اقتراحات اصلاحية لبعض الاوضاع فيها وزادت دهشتى عندما وجدتة يشيد بافضل ما فى

النظامين الاشتراكى والراس مالى ، وينصح بالاستفادة من منجزات هذين النظتمين فى البلاد المسلمة دون حرج ، فالحكمة ضالت المؤمن ان وجدها فهو اولى بها ، ولا يقول هذا المكان اصولى ابدا .

دافع عزت بيجوفيتش عن نفسة وعن زملائة دفاعا رائعا فند فية مزاعم الادعاء وكشف عما فيها من افتعال وتزوير وجهل ، وما تنطوى عليها من مخالفات صريحة للدستور والقانون اليوغسلافين . ولكن هيهات ..! فالاحكام كانت معدة سلفا ، وكان الهدف منها هو التخلص من النخبة المثقفة من المسلمين ، والقضاء على كل اثر للفكر الاسلامى فى البوسنة ، ولم تكن المحاكمات سوى تمثلية عبثية ومسرحا للتناقضات الساخرة ، وكان تزوير شهادات الشهود وتضاربها مثار سخرية وضحك من جانب الذين حضروا جلسات المحكمة ، مما سجلة عزت بيجو فيتش بالتفصيل فى سيرتة الذاتية .

كان نصيب عزت بيجوفيتش من الاحكام اربعة عشر سنة سجنا مع الاشغال الشاقة حيث وجد نفسة مرة اخرى مجبرا على الحياة وسط عتاة المجرمين من القتلة واللصوص وقطاع الطرق واذا بة يغوص الى اعمق الاعماق المظلمة فى النفوس البشرية ، ينزع عنها طبقات متراكمة من القسوة المروعة والالتواءات اتلصادمة ، مستخدما ذلك المبضع الانسانى الذى كان يحملة اديب مبدع مثل ((دستوفسكى)) لنكتشف معة فى النهاية بصيصا من ضوء يلتمع تحت تلافيف من الظلمة الحالكة .

لست اشك ان تجربة عزت بيجوفيتش الثانية رغم قسوتها البالغة على نفسة كانمت بالغة الثراء ، وقد سجلها بحنو ظاهر فى سيرتة الذاتية تعلمنا منها الا نحكم على الناس بظواهر سلوكهم ولا باوضاعهم الاجتماعية ، التى جعلت من احدهم نجما مرموقا يتربع على مقعد سلطة ، وهو فى حقيقتة الجوانية لص او خائن ، وجعلت من الاخر سجينا او محكوم علية بالاعدام وهو فى الحقيقة برئ او مظلوم ، او على الاقل كان محاطا باسباب موضوعية دفعتة الى ارتكاب جريمة ما هنا لا نبرر لة جريمتة ولكن لعلنا نعذرة و نتعاطف معة ، وقد ضرب عزت بيجوفيتش على ذلك بمثال الرجل الذى سرق لانة فقير جائع يريد ان يسد رمقة فلا يجد ما يقتات بة بينما جارة يرمى فضلات كثيرة من الطعام فى صندوق القمامة امام عينية ، وفى هذا يقول: ليس مكان هذا الرجل هو السجن فمن حقة ان يتوفر لة الطعام وان يعاد تعليمة وتربيتة من جديد وتاهيلة لممارسة حياة اجتماعية كريمة .

تعلمنا ايضا مما سجلة عزت بيجوفيتش فى سيرتة الذاتية حقيقة ان بين النفوس البشرية هوة واسعة بين من لديهم قدرة خارقة على ارتكاب ابشع الجرائم وبين اخرين ترقى ارواحهم وتسمو درجات الى انبل مستويات التضحية بالنفس

كان لتجربة السجن اثار واضحة فى مواقف عزت بيجوفيتش كانسان وزعيم قائد وحاكم لامة فعلى المستوى الشخصى عمقت هذة التجربة لدية الوعى بقيمة الحرية الانسانية وقداستها ، على النحو الذى سبق ان اشرنا الية ، ويتفرع عن هذة الحقيقة انة فى المجال الشخصى كان يتمتع بقدرة خارقة على الصفح والمغفرة بلا حدود .... حالة تعجب لها خصومة ولم يفهمها

اعداؤة فذهبوا فى تفسيرها شتى المذاهب ، نقرا هذة التفسيرات الخاطئة فى مذكرات ((لورد اوين)) عن حرب البوسنة Balkan Odyssey وكان المفاوض الاوربى الذى فشل فشلا ذريعا فى مهمتة التفاوضية لانة كان مجبرا من قبل حكومتة البريطانية ، متحيزا للجانب الصربى كارها للمسلمين ، ومن ثم عرض مشروعة الشهير فى تقسيم البوسنة الى كانتونات طائفية جعل المسلمين فيها محاصرين فى جيوب متناثرة تحت ادارة هولامية لا يصدقها عقل ، اذا تاملتها مليا تجدها اشبة بالجيوب الفلسطينية المعزولة بجدران عنصرية ، فيما يحاول شارون طرحة على الساحة . فمشروع اوين مثل مشروع شارون ينبع من مصدر عنصرى واحد ، ولان عزت بيجوفيتش رفض هذا المشروع رفضا قاطعا واصر على وحدة البوسنة متعددة الاديان والاعراف –لعنة دافيد اوين وافترى علية ولم يرى فية سوى صورة الرجل الذى حال بينة وبين النجاح والحصول على جائزة نوبل للسلام التى كان يتطلع لها .

فاذا كان العفووالصفح من ابرزسمات عزت بيجوفيتش على المستوى الشخصى فان موقفة كرئيس لبلادة وامين على وطنة فى مواجهة عدوان غاشم كان حاسما صلبا قاطعا ..... لم يدخر وسعا ولا وسيلة من وسائل تدعيم القوة لشعبة فى رد العدوان الا اتخذها ، او سعى جاهدا للحصول عليها

ولكنة فى كل الاحوال لم يستسلم لغواية الانتقام وكانت اسبابة ودوافعة كثيرة متكررة كان اعداؤة يتفننون فى اساليب القتل والتنكيل والاذلال ، وكانت القيادات الصربية تدرب جنودها

وتدفعهم دفعا لارتكاب المجازر ضد المدنيين وانتهاك الاعراض وتمزيق الاجساد ، بل كانت تعاقب لمتراخين فى تنفيذ الاوامر ، بينما كان عزت بيجوفيتش يكبح جماح الغضب المتاجج فى قلوب جنودة وضباط جيشة ويمنعهم من الانتقام او ممارسة العقوبات الجماعية

المقاومة المسلحة

انشأ عزت بيجوفيتش جيشا من لا شئ ونظرا للحصار الدولى الذى حظر التسليح على البوسنة على سبيل الخطأ او الحظ العاثر او المؤامرة – ونظرا لفشل جهودة فالدولية فى ابطال هذا الحظر الظالم ذهب يتسوق قطع السلاح من كل مكان حتى من ايدى الجنود الصرب انفسهم كانت ولادة الجيش ولادة متعثرة ، وكانت سنوات عمرة الاولى فى مواجهة جيش نظامى مدجج بالسلاح والعتاد لا يفتقر الى الامدادات والذخائر ، فمصانع السلاح والذخيرة اليوغسلافية لم تتوقف ، كانت سنواتة الاولى طفولة ضعيفة ، جرت فيها سلسلة من الحولدث المأساوية لشعب البوسنة ، ولكن هذا الجيش نفسة وجدناة ينمو بخطوات سريعة ويستوعب التدريب فلى ازمنة قياسية ورغم انة لم يكن يملك الدبابات ولا المدافع الثقيلة الا انة تمكن فى مرحلة من مراحل الحرب من تحديد مئات الدبابات الصربية وتثبيت خطوط المواجهة على سعتها وانتشارها ، وعبر سنوات الكوارث الاولى حتى صيف 1994، فأذا بة يبدا فى تحديد

اراضى البوسنة ويحقق انتصارات تكتيكية على القوات الصربية ويبدا الجنود الصرب يفرون من المعارك ويتجنبون الالتحام مع القوات البشناقية المستميتة فى القتال ، وقد سجلت قيادات صرب البوسنة ما لا يقل عن خمسين الف حالة هروب من الخدمة العسكرية كذلك استطاع عزت بيجوفيتش ان يقنع قوات كروات البوسنة بالتحالف مع القوات البشناقية فى حصار مدينة ((بنيالوكا)) مقر قيادة القوات الصربية فلما اصبحت المدينة قاب قوسين او ادنى من التسليم تدخلت القوات الدولية لوقف اطلاق النار واقنع الاوربيون والامريكيون ((فرانيو توجمان)) رئيس جمهورية كرواتيا بالتدخل لسحب القوات الكرواتية من الحصار فى مقابل مساعدات سياسية واقتصادية لوحوا بها الية .

كان سقوط بنيالوكا فى ايدى البشناق سيعزز قدرات عز بيجوفيتش التفاوضية ويمنحة الفرصة لاحباط المخطط الصربى لتمزيق البوسنة ولكن الدول الاوروبية بالذات لم تكن لتقبل ان يفاوض المسلمين فى موقع القوة بل تريد لهم تسوية ذليلة مجحفة يقبل فيها البشناق بما تمنحة لهم لا ما ينتزعونة هم بقدرتهم ونضالهم لذلك تامرت مع الصرب فى الهجوم على المدينة((سربرنيتشا)) فى يوليو1995 وكان الصرب قد حاولوا اقتحامها قبل ذلك بثمانى وعشرون شهرا

(اى فى ابريل 1993) ولكن المقاومة البشناقية ردتهم عن المدينة وفى المرة الثانية كانت المؤامرة على نطاق واسع حيث اشتركت فيها الكتيبة الهولندية التابعة لقوات الامم المتحدة وكانت قد تسلمت مسئولية الدفاع عن المدينة باعتبارها احدى الملاذات الخمسة الامنة فى البوسنة وفقا لقرار مجلس الامن ولكنها تخلفت عن الدفاع عن المدينة وسمحت للقوات الصربية بالدخول واستخدام سيارات وقبعات جنود الاممم المتحدة للتموية على السكان واخذت القوات الصربية تفرز السكان حيث وضعت النساء والاطفال فى سيارات نقل فالقت بهم فى الغابات بعيدا عن المينة اما الصبيان والشباب والرجال من سن خمسة عشر الى الستينسنة فقد سيقوا فى طوابير طويلة الى مصير مجهول .

فى هذة الحملة الارهابية فقد شعب البوسنة ثمانية الاف قتيل دفن بعضهم احياء فى مقابر جماعية عندما اكتشفت وجدت بها جثث مقيدة الايدى ماتت اصحابها وقوفا على اقدامهم بعد ان اهيل عليهم التراب ولايزال الى اليوم اسر الضحايا تبحث عن ذويهم بلا جدوى فى مقابر جماعية اخرى لم تكتشف بعد .

ديموقراطية وصحافة حرة اسس عزت بيجوفيتش نظاما ديموقراطيا فى البوسنة والهرسك استمر قائما منذ بداية تسليمة السلطنة قبل الحرب وبدون تدخل جهات اجنبية وبقى خلال الحرب حتى هذة اللحظة بينما كانت صربيا

وكورواتيا يحكمهما حكومتان دكتاتوريتان يرأسهما ((سلوبودان ميلوسفيتش)) و((فرانيو توجمان) وابى ان يرفض الرقابة على الصحافة والاعلام اثناء الحرب وكان هذا الموقف مثيرا لدهشة المراقبين اصر علية عزت بيجوفيتش

رغم معارضة الكثير من قياداتة العسكرية والسياسية .

وقد اجريت دراسة محايدة فى هذا المجال قامت بها منظمة دولية قارنت اوضاع الاعلام فى كل من صربيا وكورواتيا والبوسنة هى المنظمة المعروفة باسم ARTICLE 19 المركز الدولى ضد المراقبة)) واودعت دراستها فى كتاب بعنوان (تزييف حرب) Forging war هو فى الحقيقة شهادة ووسام على صدر عزت بيجوفيتش.

فى محاضرة القاها عزت بيجوفيتش فى سراييفو سنة 1994 والحرب محتدمة قام احد المواطنيين يسال متعجبا

من تراخى الرقابة على الاعلام قال "هل تعلم يا سيادة الرئيس ماذا يكتب فى صحف البوسنة الان .. هذا وقت حرب فكيف تسمح بهذا الكلام ؟! لماذا لا تصدر قانونا للرقابة على الصحف؟ وكانت اجابة الرجل على هذا النحو((بعد الذى اصابنى من جراء قوانين الرقابة لا يمكن ان اساند اى اجراء للرقابة على النشر ومنع الصحف من حرية الكلام ..وليس هذا مجرد التزام بمبدا فحسب ، ولكنة ايضا مسالة (برجماتية) فانا ارى ان التحريم والاكراة لا يجديان شيئا عندما يتعلق الامر باقتناع عقدى وقد عبر القران عن هذة الحقيقة ابلغ تعبير وفى اوجز بيان باية قصيرة (لا اكراه فى الدين ...) فاذا طبقنا هذة الاية فى مجال اوسع واعتبرنا الايمان هو كل ما يعتقد فية الانسان من افكار لتبين لنا ان الاكراة لا يجدى ولا يفيد فى اية عقيدة .. اسال نفسك: هل افاد الاكراة الشيوعيين فى القضاء على الافكار المعارضة بالتهديد والتعذيب والقتل والسجون؟... لقد دلت تجربة النظام الشيوعى وبرهنت هزيمتة النهائية على ان قمع الافكار بالقوة مستحيل)).

وثيقة من الامم المتحدة

فى 27 مايو 1994م ارسل السكرتير العام للامم المتحدة خطابا الى مجلس الامن مرفقا بة تقرير من ثلاثة الاف

صفحة بعنوان: التقرير النهائى للجنة الخبراء المشكلة بقرار مجلس الامن رقم 780 لسنة 1992م ((للتحقيق فى

اعمال العنف التى جرت فى البوسنة ورصد مايدخل منها فى مفهوم جءائم الحرب والانتهاكات ضد الانسانية التى نصت عليها وحرمتها معاهدة جنيف والقوانين الدولية الاخرى)). وزعت نسخ التقرير على اعضاء مجلس الامن وارسلت منها نسخة الى المحكمة الدولية لجرائم الحرب اليوغسلافية (بمقرها فى لاهاى).

بدات تحقيقات اللجنة فى نوفمبر 1992 وانتهت فى ابريل 1994م ، واعتمد تقريرها على احصاءات وتقارير رسمية للامم المتحدة فى البوسنة ، وعلى زيارات للمواقع التى حدثت فيها جرائم الحرب، ولقاءات ومع الضحايا وشهود العيان فى معسكرات اللاجئين فى البوسنة وخارجها. وقد سجل المحققون التعاون الكامل من جانب سلطات حكومة البوسنة، والتعويق الكامل من الجانب الصربى.

من اهم ما ورد فى التقرير انة اثبت ان الجرائم التى ارتكبها الصرب ضد البوسنة المسلمين لم تكن كما زعم قادة الصرب مجرد انتهاكات قام بها بعض افراد منحرفين كشان اية حرب اخرى، وانما كانت جرائم بتدبير مسبق وفق خطط رسمها خبراء من اعلى مستوى فى الخبرة ، وتم تنفيذها باسلوب منظم وطبقت فى جهات مختلفة بطريقة نمطية ثابتة، وكان التنسيق بين الاطراف المشتركة فى تنفيذها على اعلى مستوى ايضا ، وقد استطاع المحققون ان يتتبعوا مصادر التوجية والاوامر الى اعلى المراكز فى القيادات السياسية والعسكرية والادارية الصربية ومما يجب ذكرة هنا انة بناء على هذا التقرير تم تسليم "سلوبودان ميلوسفيتش" الرئيس الصربى السابق الى محكمة جرائم الحرب.

من ابرز الموضوعات التى اشتمل عليها هذا التقرير الاتى:

1- دراسة مفصلة لعمليات الابادة المكثفة للسكان المدنيين فى منطقتى ((اوبتينا)) و((بريدور))

2- معركة وحصار سراييفو

3- معسكرات الاعتقال

4- جرائم الاغتصاب والاعتداءات الجنسية الاخرى

5- المقابر الجماعية

6- تدمير الاثار الثقافية

هذا التقرير رغم ضخامة حجمة لم يكن مقصودا منة ان يكون شاملا ، وانما اكتفت لجان التحقيق المنبثقة عن اللجنة الرئيسية بالبحث فى عينات دالة على الاتجاة العام لكل نوع من انواع الجرائم ، واستهدفت الموضوعات والمواقع التى توفرت فيها وعنها معلومات وادلة موثقة وكافية لاصدار احكام صحيحة

حصار سراييفو

فيما يتعلق بحصار سراييفو وقصفها يذكر التقرير ان هذة المدينة تقع فى واد منخفض وان القوات الصربية كانت تطوقها من جميع الجهات فى مواقع جبلية حصينة ، مسلحة بالف ومائة مدفع وعدد كبير من الدبابات ، وان متوسط القذف اليومى على المدينة كان يتراوح بين مائتين وثلاثمائة قذيفة ، ذلك فى الايام الهادئة ، وبين ثمانمائة الى الف قذيفة فى الايام النشطة، وقد سجلت تقارير رصد الامم المتحدة ان القذائف كانت تنهمر كالمطر على المدينة فى يوم 22 يوليو 1993 حيث بلغ عدد القذائف 3777 قذيفة. من دراسة سجلات مراقبى الامم المتحدة يخلص تقرير الخبراء الى ان القصف المنظم كان يستهدف مواقع معينة ولكن كان هناك قذف عشوائى مقصود لاهداف اخرى، وفى كلتا الحالتين كانت الاهداف كلها مدنية مثل المستشفيات ومبانى الاذاعة والتلفاز والصحف ووسائل المواصلات العامة ومبنى البرلمان ومقر الرئاسة ومطاحن الدقيق والمخابز ومبنى الاستاد الاوليمبى والمصانع والمطار والمساجد والمرافق العامة والمكتبات والاثار العثمانية البديعة، واستهدف القصف الالعشوائى بالذات المناطق السكنية والمدارس

والشوارع والمتنزهات العامة والملاعب وطوابير المياة والخبز ومراكز توزيع مواد الاغاثة، وفى هذة المجالات العشوائة تركز نشاط القناصة الصرب، وكانوا يتراهنون فيما بينهم : من يصيب اكبر عدد من الناس المارين فى الشوارع!.. وكشف التقرير عن وجود ربط بين شدة القذف وبين احداث سياسية معينة، فقد لاحظ الخبراء من دراستهم للسجلات والازمنة ان القصف العنيف كان يحدث قبل واثناء المؤتمرات وجلسات المفاوضات بين اطراف النزاع فى قصر الامم المتحدة بجنيف ومن الواضح ان الصرب كانوا يهدفون بذلك الضغط على الحكومة البوسنية لكى تخضع لشروطهم وتقبل بالحلول المطروحة عليها دون اعتراض او مناقشة، وقد رفض عزت بيجوفيتش هذا الابتزاز وقاطع المفاوضات بسببة عدة مرات معلنا ان

المقاومة مستمرة ولن يركع البوسنة امام الغزو الصربى مهما طال امدة ومهما بلغت التضحيات.

حادثتان من حوادث القصف الصربى – بصفة خاصة –اثارتا صخطا شديدا من جانب الراى العام العالمى نظرا لبشاعة الاثار التى ترتبت عليهما وهما : حادثة ملعب كرة القدم (فى اول يونيو 1993) الذى تطايرت فية اشلاء الاطفال والتصق بعضها فى سور الملعب ، وحادثة السوق (5 فبراير 1994) الذى راح ضحيتة عدد كبير من المدنيين وفى كلتا الحادثتين وجة حلف الاطلنطى انذار الى القوات الصربية بسحب اسلحتها الثقيلة بعيدا عن المدينة ، وحدد فى الحادثة الثانية بالذات عشرة ايام مهلة للصرب والا فسوف يتعرضون للقصف الجوى ، ولكن لم يابة الصرب لهذا التهديد ولم يتحركوا الى الوراء شبرا واحدا ولم ينفذ حلف الاطلنطى تهديدة كالعادة .

الموقف الاوروبى واثارة

تميزت حرب البوسنة دون سائر الحروب التى سبقتها بان حوادثها وقعت تحت سمع العالم وبصرة على شاشات التلفاز ، ولذلك لم يستطع الصرب اخفاء جرائمهم فى البوسنة كما استطاعت الصهيونية –مثلا-اخفاء جرائمها الوحشية فى فلسطين عام 1948م . ومع ذلك فقد اقامت اوربا موقفا متحجرا ثابتا تجاة البوسنة على اساس افتراضات خاطئة فادى ذلك الى تدمير ونكبات لجمهورية البوسنة وشعبها ، كان من الممكن تجنبها لو ان الدول الاوربية اتخذت موقفا مخالفا لما تسمرت علية ، اما اهم هذة الافتراضات الخاطئة فتتمثل فى امرين :

1- التقليل من القتال فرض حظر التسلح على المسلمين والامتناع نهائيا عن التدخل بالقوة لوقف الحرب

2-الاكتفاء بتقديم مساعدات غذائية وبالجهود الدبلوماسية فقط لوقف القتال . وقد شجع هذا الموقف السلبى مطامع الصرب والكروات فى ارض البوسنة ، وجعل وجود القوات الصربية فى البوسنة بمثابة دعم للعدوان الصربى وليس عنصرا مساعدا فى تحقيق السلام

من اثار هذا الموقف الاوربى –ايضا –تضاعفت خسائر البوسنة خلال السنتين الاوليين من العدوان الصربى حيث بلغت ذروة ماساوية :فقد قتل من البوشناق(المسلمين) مائتا الف معظمهم من المدنيين ، وتحول اكثر من مليون انسان الى لاجئين مشردين فى بلادهم وخارجها ، وتم اغتصاب ما يقرب من 35 الف امراة ، قتل بعضهن بعد الاغتصاب والقيت جثثهن فى الغابات وانتحر بعضهن لم يتحملن وطأة الشعور بالعار والمهانة ، اما من بقى منهن فلم يستطعن العودة الى اسرهن واصبحن اليوم يشكلن معضلة اجتماعية ونفسية

للمجتمع البوسنوى المجروح ، واندثرت قرى مسلمة باكملها وسويت انقاضها بالارض حتى يتعذر على البوشناق التعرف عليها اذا عادوا اليها فى اى وقت لاحق .اما ما لحق بمدينة سراييفو خلال نفس الفترة فقد سجلتة التقارير على النحو التالى :

- تراجع عدد سكانها من545الفا الى 380 الفا

- قتل 9500 من بينهم 1600 طفلا

- بلغ عدد الذين اصيبوا بجراح وعاهات مستديمة 55700 بينهم 16 الفا من الاطفال

-تدمير كامل وجزئى لمنازل ومبانى المدينة بنسبة60%(يعنى 6 من كل 10 مبانى) اصبحت غير صالحة للسكن او الاستخدام

- تناقص عدد تلاميذ المدارس الابتدائية من 60 الف الى18 الفا

شريف بسيونى

بعد تقديم وثيقة الامم المتحدة الى مجلس الامن بعامين التقت ((سيسليا جابيزون)) الصحفية من شبكة الاعلام الدولية فى 24 يونيو 1996م بشريف بسيونى الذى قاد لجان التحقيق فى جرائم حرب البوسنة لتسالة عن مدى فاعلية التقرير وعن بعض الظروف التى احاطت بة فاجاب: ((لقد تقدمنا الى محكمة مجرمى الحرب اليوغسلافية باسماء(رادوفان كارجيتس) زعيم صرب البوسنة وقائد قواتة الجنرال (راتكو ملاديتش) ولكن لم يتم القبض عليهما حتى الان ، وهناك قائمة اخرى تشتمل على اسماء رؤساء دول ووزراء فى حكومتى كل من صربيا وكرواتيا ، واسماء جنرالات كبار فى الجيش ومديرى معسكرات الاعتقال .... هؤلاء جميعا لا بد من تقديمهم للعدالة لان السلام فى يوغسلافيا لن يتم الا بتحقيق العدالة.....لقد سجلنا 890 معسكر اعتقال سجن فيها نصف مليون من المدنيين الابرياء، تلقى منهم (على الاقل خمسون الفا) انواعا من التعذيب تفوق احتمال البشر.. اننا لا نعرف الى اليوم مصير سكان منطقة "بريدور" التى بدأ بها الصرب تنفيذ سياستهم فى التطهير العرقى ، حيث نقلوا 65 الفا منهم الى معسكرات اعتقال مجهولة ، ولم يعثر لهم على اثر بعد ذلك .." ويعترف شريف بسيونى ان لجنتة تعرضت لضغوط من شخصيات اوروبية معروفة مثل لورد اوين وبريطانيين اخرين لانهاء هذة التحقيقات باسرع ما يمكن لأن بريطانيا لم تكن راضية منذ البداية على فكرة التحقيقات من اصلها .. وكان لورد اوين الوسيط الاوروبى فى المفاوضات يروج لفكرة ان اطراف النزاع فى البوسنة مسئولون جميعا عن جرائم الحرب على السواء ، وقد اغضبة ان لا يرى فى التقرير ايدى المسلمين ملوثة بدماء الاخرين.

ويقول شريف بسيونى فى مقابلتة مع مراسلة شبكة الاعلام الدولية: (من الصعب تحقيق العدالة على وجهها الصحيح بدون ازاحة الحكومتين الصربية والكرواتية المسئولتين عن جرائم الحرب فى البوسنة ، حتى يمكن تقديم المسئولين الكبار فى هذة الحكومات عن الجرائم

التى ارتكبوها .. ولا بد ان يستمر الراى العام العالمى فى الضغط على الحكومات الغربية لتمتنع عن منح هؤلاء القادة المذنبين العفو فى مقابل موافقتهم على اتفاقية السلام).

وكان اخر سؤال وجهتة المراسلة الية هو (ما الاثر الذى يلح على عقلك اكثر من غيرة من تجربتك فى البوسنة ؟) وكان رد شريف بسيونى (من هذة الحرب تعلمت درسا شاهدت فية نظم الضبط الاجتماعى تنهار على ايدى اشرار المجتمع فعندما يتمكن السفاحون وقطاع الطرق من امتلاك السلطة المطلقة فى اى مكان وخصوصا اذا كانت تسيطر على عقولهم عقيدة قومية عنصرية فان كل شىء يصبح ممكنا ، وهؤلاء هم الذين صنعوا جرائم حرب البوسنة على اوسع نطاق).

لماذا لم يلجأ المسلمون الى الانتقام ؟ لا بد ان يتبادر الى الذهن سؤال لماذا لم يتورط مسلموا البوسنة فى جرائم الحرب التى تورط فيها الصرب والكروات؟ لماذا لم ينتقم المسلمون ويردوا على الاعتداءات البشعة بمثلها او اكثر منها ، خصوصا وان لديهم كل المبررات الموضوعية .. والجروح غائرة فى اعماق القلوب .. والحرب هائجة وقد اختلط فيها الحابل بالنابل؟ تأثير العقيدة الاسلامية وارد ، وسماحة البوشناق التاريخية المشهودة واردة ايضا ولا شك ان هناك فرق هائل بين عقيدة دينية تفرض على اصحابها ان لا يسرفوا فى القصاص وان يلتزموا حدود العدل والاعتدال ، وبين عقيدة قومية تستبيح قتل الجار وحرق بيتة ومزرعتة ، مثل عقيدة (الشتنك) الصربية والتى يقدسونها ويخلعون عليها طقوسا اسطورية. ومع ذلك لم يكن من المستبعد ان يطيش صواب المسلمين وقد احيط بهم وصب عليهم العذاب صبا ، وان يقوموا باعمال انتقام مماثلة ، ولكنهم لم يفعلوا ووثيقة الامم المتحدة اكبر شاهد على ذلك .. فيبقى السؤال قائما لماذا ؟ لعل الاجابة البسيطة تكمن فى زعامة عزت بيجوفيتش والدور الخارق الذى قام بة فى كبح زمام الجنون وضبط المشاعر الثائرة والرغبة فى الانتقام ، فى اطار القيم الاسلامية ليس بالوعظ والارشاد ولكن بالقدوة التى تمثلها فى شخصة وسلوكة وبالتربية التى وجهها الى ضباط جيشة وبالتنظيم الذى فرضة على القوات المسلحة

انشأ عزت بيجوفيتش الاكاديمية العسكرية فى سراييفو لتخريج قيادات ميدانية على مستوى رفيع ، لم تقتصر مناهجها على الدراسات العسكرية والتدريب ، وانما اشتملت على برامج تربوية دينية واخلاقية ، وكان الرئيس عزت بيجوفيتش رغم همومة وعظم مسئولياتة ومشاغلة حريصا على ان يحاضر فى الاكاديمية موضحا لضباطة خطورة مسئوليتهم ، وضرورة التمييز بين المدنيين والابرياء من صرب البوسنة وان لا يؤخذ الابرياء بذنوب المجرمين ، وكان يؤكد لهم ان يتصرفوا دائما باعتبارهم جيش الشعب كلة : مسلمين وارثوذكس وكاثوليك بلا استثناء ولا تفرقة ، ولم يكن عزت بيجوفيتش فى خطابة يسمى المقاتلين الذين انحازوا الى كراجيتش .. كان يرفض نسبتهم الى البوسنة لان الوطنى الحقيقى فى نظرة لا يمكن ان يقدم على تدمير وطنة وقتل ابناء شعبة

كانت نصيحتة المتكررة لضباطة ان لا يقتلوا مدنيا او يمثلوا بجثة او يجهزوا على اسير مجروح وان لا يمارسوا العقوبات الجماعية وان لا يحرقوا البيوت او الزرع كما يفعل الصرب ، وان لا يقتلوا الحيوانات ولا يروعوا راهبا فى ديرة ولا امراة فى بيتها. ولم يتوقف جهد عزت بيجوفيتش عند حدود النصيحة لكنة وضع نظاما للمتابعة ومحاسبة افراد القوات المسلحة على اى انتهاكات تصدر منهم ، لقد اعطى صلاحيات لقادة جيشة فى الرقابة والتحقيق وتنفيذ العقوبات الرادعة عند ثبوت اى انتهاك . لذلك كلة لم يكن مستغربا ان تظل ايدى البوشناق نظيفة لم تلوثها دماء الابرياء طوال فترة الحرب التى اقتربت من اربعة اعوام .

كان الصرب يدكون المساجد ويهدمونها على المصلين فى الوقت الذى كان هناك جنود من المسلمين يحرسون الكنائس فلم يصبها اذى وتلك ظاهرة ينبغى ان تتم دراستها وان يتامل فيها مليا المؤرخون المنصفون .مثل هذة المواقف يستحيل على رجل مثل لورد اوين ان يفهمها فهو لا يامن بغير القوة ولا يرى الحق او العدل اذا كان فى جانب المستضعف او الضحية ، كان دائما يتحدث عن (الحقائق على الارض) وضرورة اذعان المسلمين لها والاستسلام لما يفرضة الصربى المنتصر . كان من الممكن –بمقياس ((الحقائق على الارض)) وحتمية ما سماة بالحقائق الموضوعية – ان يندثر البوسنة ويتلاشى وجودها من خريطة العالم .

تحدث احد قادة البوشناق الى الجنرال البريطانى ((مايكل روز)) قائد قوات الامم المتحدة فى البوسنة قائلا لة: لقد استولينا على عدد من الدبابات من ايدى الصرب ، وسوف نستخدمها فى تحرير ارض البوسنة خلال اربعة اشهر ، ولان هذة الدبابات كانت من النوع شديد التعقيد تهكم علية الجنرال روز قائلا :ان جنودك بحاجة الى اربع سنوات للتدريب على هذة الدبابات واتقان استخدامها ، فرد علية القائد البوشناقى بثقة قائلا كلا يا سيدى فهذة مقاييسكم انتم فى الغرب اما المسلمين فلهم مقاييس مختلفة وسوف ترى ..)) وبالفعل بدا المسلمون تحرير ارض البوسنة بعد اربعة اشهر واستخدموا الدبابات بكفائة ملحوظة ولم تندثر البوسنة .

العنصرية الصربية والتسامح البشناقى :

نشر المفكر الصربى ((فوك كراجيتش)) مقالا سنة 1849 تحت عنوان:(صربيون جميعا فى كل مكان)

زعم فية –على اساس تاريخى مختلف – ان البوسنيين وكذلك سكان دالماشيا (الكروات) ينحدرون جميعا من اصول صربية . وفى سنة 1844 كتب قبلة ((اليا جراشانين)) – وزير داخلية صربيا –مذكرة يشرح فيها امكانية استمالة صرب البوسنة للتعاون مع صربيا فى ضم البوسنة الى صربيا الكبرى ، وقد اشتملت هذة الذكرة على برنامج مفصل لتدريب شباب صرب البوسنة على قتال المسلمين وقتلهم وتدمير مجتمعاتهم المستقرة .

انها نفس الفكرة العنصرية التى راودت ميلوسفيتش والتى الهبت خيال انصارة من القومين الصرب ، وقد تمكن ميلوسفيتش من اغراء فئة من صرب البوسنة بقيادة ((رادوفان كراجيتش)) للانضمام الية لتنفيذ خطتة فى تدمير

البوسنة وضمها الى صربيا بعد تطهيرها من المسلمين . وكما ان هذة الفكرة لم تكن جديدة كذلك لم تكن محاولة تدمير البوسنة محاولة جديدة ، فقد تبنت صربيا من قبل (فى العهد الملكى) خطة الوزير الصربى (ستوبان بروتتش) فى حل مشكلة البوسنة اما عن طريق احبار جميع المسلمين والكروات الكاثوليك للتخلى عن اديانهم واعتناق الارثوذكسية واما عن طريق الابادة الجماعية والمذابح المنظمة ، اذا رفضوا اعتناق الارثوذكسية ، وقد نتج عن تنفيذ هذة السياسة الدموية بين سنة 1910 وسنة 1920م ان فقدت البوسنة خمس سكانها فى المذابح والحرق والاوبئة التى تفشت بين اللاجئين الفارين من عمليات الابادة .

التزمت القومية الصربية دائما خطا عنصريا واضحا لا مواربة فية ، وهو خط لم يجد التعبير عن نفسة فى الصحافة والاعلام فحسب بل فى مؤسسات الدولة الرسمية ، ففى عام 1986 صدرت من((الاكادمية الصربية للعلوم)) مذكرة ادعت ان القوميات التى كانت تشكل الاتحاد اليوغسلافى السابق وهى : الكرواتية والبوشناقية والسلوفينية والمقدونية والالبانية (الكوسوفية) كلها قوميات مزيفة ولا يصح الا القومية الصربية واعلنت المذكرة : ان الشعب الصربى فى انحاء يوغسلافيا شعب واحد وكيان واحد فائق ومتميز ولة حقوق تاريخية تتجاوز الحقوق السياسية والجغرافية ، وان وحدة الشعب الصربى وتكاملة وشرفة وثقافتة فى يوغسلافيا قضية تفرض نفسها فوق كل الاعتبارات لانها تتعلق بالحفاظ على هذا الشعب وبقائة ونموة .

وقد راينا ان ما قام بة ميلوسفيتش وانصارة المتطرفين لتنفيذ توصيات المذكرة فى توحيد الشعب الصربى هو الذى ادى فى النهاية الى القضاء على يوغسلافيا وتدمير البوسنة .
وعندما رفض كراجيتش التوقيع على خطة (فانس – اوين) بتقسيم البوسنة طمعا فى نصيب اكبر من اراضيها جاء ميلوسفيتش الى مقر المفاوضات باثينا فى 2 مايو 1993 ليحث عميلة كراجيتش لقبول الخطة التى راى فيها مجرد مرحلة اولى ستؤدى الى مرحلة تالية تضم فيها اراضى البوسنة كلها الى صربيا الكبرى ، وقد عبر عن هذة الحقيقة اصدق تعبير ((دراجوسلاف رانتيتش)) المتحدث الرسمى باسم رئيس جمهورية يوغسلافيا قال : (انها فقط خطوة اولى ....فلن تستمر طويلا ..ان احدا لا يصدق هذة الخطة حتى لورد اوين نفسة)) ثم اضاف مستخفا ((ان المسلمون سينعمون بمعسكرات ايواء مثل معسكرات ليسوتو الافريقية .. فهذة ليسوتو البلقان .. وسوف يحصل الصرب فى النهاية على كل ما يريدون))

امام هذة العنصرية العدوانية التى دمغت القومية الصربية يلاحظ المؤرخون والمراقبون والرحالة على مر العصور تميز البوسنة بالتسامح والامتزاج السلمى بين عناصر الشعب البوسنى المختلفة : مسلمين ومسيحيين ويهود مما كان دائما ولا يزال مثار اعجاب الجميع من الرحالة الذين زاروا البوسنة وسجلوا انطباعاتهم عنها الرحالة التركى ((اوليا جلبى))

الذى اثنى كثيرا على سجايا واخلاق البوشناق وتسامحهم ، والرحالة الفرنسى ((كيسيلية)) الذى زار البوسنة واقام فى سراييفو شهرين من عام 1658 كتب ((لم اتلق فى سراييفو الا احسن المعاملة ولم اجد سوى الكرم والسخاء من جميع المسلمين فى المدينة حيث كان الجميع اصدقاء))

وفى العصر الحالى ياتى ((ه.ت نوريس)) استاذ التاريخ بجامعة لندن ليؤكد لنا فى كتابة((الاسلام فى البلقان)) ان البوسنة نموذج فذ للالتزام الدينى والعرقى فى منطقة البلقان كلها وتبعة فى ذلك الكاتب والصحفى الامريكى ((دافيد ريف)) استخلاصا من خبرتة ومشاهداتة قال ((ان مجتمع البوسنة قد التزم فى حياتة بالتعددية الثقافية بالمعنى الحقيقى والممارسة اكثر مما حدث فى الولايات المتحدة نفسها .. فالتسامح جزء من طبيعة هذا المجتمع)) ومن راية انا التدخل الغربى الى جانب البوسنة ضد العدوان الصربى كان ينبغى اعتبارة دفاعا عن النفس وليس صدقة يتصدق بها على غرباء ان شاء.

<u>موقف عزت بيجوفيتش من تفكيك يوغسلافيا</u>

وقفت البوسنة الى جانب جمهوريتى سلوفيينا وكرواتيا فى موضوع الاصلاح الدستورى لمواجهة الاطماع الصربية وتلاعب الصرب بيوغلاسفيا ، ولكن الرئيس البوسنى على عزت بيجوفيتش لم يكن ليذهب مع سلوفيينا وكرواتيا الى اخر الطريق ، لانة استشعر انهما يخططان لانفصال كامل عن يوغلاسفيا فاذا تحقق هذا الانفصال سيكون كارثة على البوسنة فهى جمهورية ناشئة وضعيفة فاذا بقيت وحدها فى الاتحاد اليوغلاسفى الجديد مع صربيا فستكون تحت رحمة من لا يرحم ، واذا وقع صراع مسلح بين صربيا وكرواتيا بالذات فان البوسنة سوف تتمزق وتطحن بين رحى هذا الصراع . والسبب فى ذلك يرجع الى حقيقتين : الاولى من التجربة التاريخية الطويلة والثانية من التركيبة القومية الخاصة بالبوسنة التى تتالف من حوالى 47% مسلمين (البوشناق) و 33% ارسوذكس (صرب البوسنة) و17% كاثوليك(كراوت البوسنة): ولا تعيش هذة القوميات فى كيانات جغرافية متميزة وانما يمتزج الجميع فى القرى والمدن كلوحة من الفسيفساء.

وراى عزت بيجوفيتش ان البوسنة بتركيبتها الفسيفسائية هذة اولا يستحيل تقسميها من ناحية ، وانها من ناحية اخرى يمكن ان تكون جسر سلام تعبر علية محاولات التقريب والوفاق بين العدوين التاريخيين (الصرب والكروات) ، ولكن اذا نشب صراع مسلح بينهما (كما حدث بالفعل) فسوف ينحاز صرب البوسنة الى صربيا وينحاز كروات البوسنة ال كرواتيا ويدور الصراع بينهما على ارض البوسنة نفسها فتتمزق وحدتها ويكون اكبر ضحايا هذا الصدام شعب البوسنة المسلم .

بذلك كان عزت بيجوفيتش (على خلاف من كل الاداعاءات الكاذبة) كان احرص رؤساء جمهوريات يوغسلافيا على الوحدة اليوغسلافية فى اطار ديمقراطى جديد ، وعلى اتخاذ

المسلك السياسى بدلا من الحرب لحل الازمة اليوغسلافية ومن ثم تقدم فى اجتماع الرئاسة سنة 1999 بمشروع حل وسط ينهى الازمة الناشبة بين صربيا من ناحية وكرواتيا وسلوفيينا من ناحية اخرى ، وقد نال هذا الحل تاييد المجتمع الاوروبى ولكن ميلوسفيتش رفضة بصلف ومضى فى مخططة العدوانى ، ولم يابى فرانيو توجمان (الرئيس الكرواتى) بحل يقترحة عزت بيجوفيتش لانة كان يتطلع الى الانفصال عن يوغسلافيا .

وفى هذا يقول عزت بيجوفيتش "حينما كان ميلوسفيتش وتوجمان يحضران المفاوضات يتوقف النقاش البناء وتنهار جلسة المفاوضات" ثم ياتى الى النقطة الجوهرية فيقول (لم يكن هناك شك ان العوامل الذاتية الشخصية كان لها اكبر الاثر فى تطور الاحداث بيوغسلافيا على النحو الذى تطورت الية .. فمن الناحية الموضوعية المجردة كان من الممكن ان تتخذ الاحداث مسارا اخر مختلفا .. وتؤدى فى نفس الوقت الى الاهداف الاساسية لكل من الكروات والصرب والمسلمين وجميع القوميات الاخرى فى يوغسلافيا ثم يضيف قائلا (ان السمات الشخصية لبعض الرجال الذين كانوا فى مراكز رؤساء جمهوريات او مراكز اخرى هامة كان من شانها ان تجعل اى اتفاق توصلنا الية مصيرة الفشل لا محالة) . ثم ينتقل بهذة الفكرة الى المستوى العالمى الاوسع فيؤكد (ان سلوك القوى العظمى ايضا تجاة البوسنة ويوغسلافيا السابقة كان يعتمد على نوعية الاشخاص الذين صنعوا السياسات او نفذوها فامريكا تحت قيادة بوش الاول لم تكن هى نفسها امريكا كلينتون وبريطانيا جون ميجور اختلفت فى عهد تونى بلير وكذلك كانت فرنسا ميتران غيرها فى عهد شيراك لقد تعلمنا فى الجامعة النظرية المشهورة ان السياسة تحددها المصالح وتصوغها مجموعات من الخبراء ، وان هذا شىء عقلانى ومتوقع وانها لا تعتمد على الشخصيات الا فى اقل القليل ولكن تبين لنا واضحا ان هذة النظرية غير صحيحة ومصير يوغسلافيا وتفككها لم يكن حتمية تاريخية وحتى عندنا حل هذا التفكك كان من الممكن ان يقع بطريقة اخرى مختلفة غير طريقة الحرب والتطهير العرقى ، فكل ماحدث فرضتة شخصيات من امثال ميلوسفيتش وتوجمان ولم يكن باى حال حتمية تاريخية كما يزعم بعض الناس .. وقد كان حظنا نحن البوشناق حظا سيئا ففى اللحظة الحرجة من التاريخ التى انطلقت شرارة الحرب فى البوسنة كان يحكم العالم من حولنا اناس مثل بوش وميجور ومتران وميلوسفيتش وتوجمان وغالى واكاشى وجانفيير وغيرهم ، كان هؤلاء الناس وسياساتهم هى الحقيقة الموضوعية التى لم يكن لنا عليها اى قدر من التاثير ، بل كانت بالنسبة لشعبنا جزءا من الاقدار التى هبطت علينا من حيث لا نحتسب).

تدخل الولايات التحدة : كانت الولايات التحدة – منذ بداية الصراع اليوغسلافى – تحاول ان تنأى بنقسها عن التدخل ، بحجة ان يرى هناك شان اوروبى وعلى اوروبا ان تجد لة حلا ، ولكنها تحققت مع الوقت – ان اوروبا لم تكن مؤهلة للقيام بهذا الدور بل اسهمت بتعاقسها احيانا وبتواطئها مع العدوان الصربى احيانا اخرى فى تردى الاوضاع فى فى البوسنةوفى استمرار المذابح فى مشهد يومى فاضح امام العالم لاكثر من ثلاث سنوات ، لذلك لم تجد الولايات التحدة مفرا من التدخل واخذ زمام المبادرة فى يدها ، وهكذا تخلى لورد اوين عن مهمتة وسقط مشروعة فى تقسيم البوسنة ، وتولى((ريتشارد هولبروك)) مهمة التقريب بين وجهات النظر ، بعد ان اظهر حلف الاطلنطى جديتة فى ضرب القوات الصربية واجبارها

على فك الحصار عن سراييفو .... وتمخضت اتفاقية دايتون للسلام عن مولد هلامى المعالم يحفظ من الناحية النظرية وحدة اراضى البوسنة ، ولكنة يجمع ثلاث كيانات فى واحدة : جمهورية صرب البوسنة وفيدرالية تجمع البوشناق والكروات ومجلس رئاسة يضم الثلاثة . ومن الناحية العملية حصل صرب البوسنة على 49% من اراضى البوسنة وبقى للفيدرالية 51% من هذة الاراضى .

لم يكن عزت بيجوفيتش سعيدا بهذة النتيجة المجحفة ولكنة على الاقل توصل الى امرين بالغى الاهمية : وقف حمام الدم النازف الذى يتعرض لة شعبة ، والحفاظ على وحدة اراضى البوسنة ، وراى ان امكانيات شعبة وظروف اللحظة الراهنة يمكن ان تتغير فى المستقبل القريب بحيث تلتئم اشلاء البوسنة وتعود الى سابق وحدتها التاريخية دولة ديموقراطية متعددة الاديان والقوميات .

بعد توقيع اتفاقية دايتون وقف كل من الرئيسين ميلوسفيتش وتوجمان فشكرا كلينتون فى سعادة ظاهرة امام عدسات التلفاز اما الئيس عزت بيجوفيتش فلم يشكر احدا ولكطنة وجه خطابة مباشرتا الى شعب البوسنة فقال ((لم يكن الاتفاق عادلا بالنسبة للبوسنة ولكن اللة يشهد اننا بذلنا كل ما فى وسعنا من جهد للوصول الى تسوية عادلة)). هذا الشعور بالمرارة صبغ حديث ميجوفيتش كلما سأل عن راية فى اتفاقية دايتون . ووصف هذاى الموقف بانة ((المذاق المر للسلام))

اوضاع البوسنة بعد دايتون

اورد عزت بيجوفيتش فى مذكراتة المنشورة سنة 2003 فيضا من الحقائق المثيرة عن الاوضاع التى سادت البوسنة بعد اتفاقية دايتون للسلام حيث يشرح لنا تجربة حكومتة مع امريكا واوروبا فيما يتعلق بتنفيذ الاتفاقية ، فيتبين لنا ان هذة الدول قد نشطت بقوة فى تنفيذ الشق العسكرى والامنى لضمان وقف الحرب وتامين وجود قوات حلف شمال الاطلنطى والادارة الاجنبية على ارض البوسنة ، اما الشق المدنى من الاتفاقية الذى يشتمل على اعادة اعمار البوسنة واعادة اللاجئين الى ديارهم والقبض على مجرمى الحرب وتقديمهم الى المحاكمة فى لاهاى فلم يتحقق منة شئ يذكر ، ولا يزال رادوفان كراجيتش وراتكو ملاديتش وهما اكبر المجرمين مطلقى السراح حتى الان، بعد مرور ما يقرب من تسع سنوات على توقيع اتفاقية دايتون .

ويحق لنا ان نتساءل : هل يرجع هذا الى نقص فى اليات التنفيذ ام غياب الرغبة ام الارادة ؟ يجيب على هذا السؤال ريتشارد هولبروك مهندس اتفاقية دايتون الذى كتب فى مقال لة نشر فى بمجلة ((تايم)) الامريكية فى 12 مايو 1996) ((لقد قامت الولايات التحدة بالتزاماتها العسكرية تجاة اتفاقية دايتون كما وعدت ، ولكن هناك اشارات خطيرة فى سلوك الدول الاوربية ، اذ يبدوا ان هذة الدول قد القت بتعهداتها والتزاماتها فيما يتعلق بالجوانب المدنية عرض الحائط ، بما فى ذلك اعادة البناء الاقتصادى للبوسنة واعادة اللاجئين الى ديارهم وتقديم مجرمى الحرب الى العدالة ....(ويخشى هولبروك من موقف الدول الاوربية التى

يتحدث قادتها فيما بينهم بعيدا عن وسائل الاعلام عن مكنون صدورهم وعزمهم على ان يهيئوا الاوضاع فى البوسنة لتقيمها بصفة نهائية على اساس من الامر الواقع))

وليس ادل على هذا من محاولة الادارة الاوروبية زعزعة الاستقرار السياسى فى البوسنة وخلق مشاكل لحكومتها ، وتدعيم بل خلق قوى معادية ضد حكومة عزت بيجوفيتش ومساندتها بالمال والاعلام والخطط.

لقد كانت الاشارات تصل عزت بيجوفيتش واضحة بانة طالما بقى فى قيادة شعب البوسنة فلن يكون هناك اعمار ولا عودة للاجئين المسلمين الى ديارهم لذلك اثر الرجل مصالحة بلادة وضحى بالسلطة وحمد اللة انة تخفف من مسؤولية ارهقتة وتركت بصماتها قاغسية على قلبة وصحتة وحياتة .

لقاءاتة الصحفية واحاديثة

فى لقاءات الصحيفة وفى احاديثة امام المحافل الدولية يكشف عزت بيجوفيتش عن ثروة فكرية وجرأة غير معهودة فى الحق ، وفهم عمق للقوى والافكار التى تحرك هذا العالم . من هذة اللقاءات سلسلة احاديث ادلى بها عزت بيجوفيتش الى عبد اللة سيدران وهو شاعر بوشناقى وكاتب سيناريو وصحفى مرموق ، نشرت هذة السلسلة فى ثلاثة اعداد بمجلة ((سراييفو سلوبودنا بوسنا)(سنة 1996، نجتزئ بعضها فى هذة العجالة :

- **سيدران مستنكرا ☹ حزنت يا سيدى الرئيس لانك وافقت مؤخرا على انشاء محطة تليفزيونية خاصة بالبوشناق (وهو الاسم التاريخى لمسلمى البوسنة).. وسالت نفسى : هل هذا يصب فى صالح البوسنة ام هو اتجاة يمكن ان يؤدى الى تمزيقها ؟)) واجاب عزت بيجوفيتش تخطئ اذا وضعت البوشناق والبوسنة على طرفى نقيض وان تعتقد ان اى زيادة فى طرف تؤدى بالضرورة الى نقص فى الطرف الاخر واعرف ان هنك اماس يعتقدون ان اضعاف البوشناق يؤدى الى بوسنة اقوى ، ولكن هذا غير صحيح فبوسنة قوية موحدة وديمقراطية لا تستلزم شئا من ذلك ، يرى هؤلاء الناس انة من الافضل ان ينسى البوشناق عقيدتهم وماضيهم وحتى اسماءهم ففى هذا – كما يزعمون – تقوية للبوسنة ، وهذا غير صحيح ايضا وانما العكس هو الصحيح ان شعبنا من البوشناق الاقوياء الواعين هو العمود لدولة البوسنة والهرسك وهو الضمان الوحيد لانقاذ البوسنة من الاوضاع التوسعية للدولتين المجاورتين صربيا وكرواتيا وهو الذى سياخذ البوسنة والهرسك تدريجيا فى طريق الوحدة .... البوشناق هم الضمان ان الساتلر لن يسقط على دولة البوسنة**

- **سيدران سيدى الرئيس ارجو ان تتحدث عن شخصية عزت بيجوفيتش التاريخية واعمالة هل تتذكر مقولتى ان عزت بيجو فيتش سيكون شيئا اذا نجا البوشناق وبقيت البوسنة بعد الحرب وسيكون شيئا اخر اذا اختفيا من وجة الارض ؟**

- عزت بيجوفيتش : لا احب ان اتحدث عن شخصية بيجوفيتش واعمالة ولكنى احب ان اتحدث عن البوسنة ومستقبلها وفى هذا اقول لك باطمئنان اننى اعتقد ان فكرة البوسنة ستقوم وتبقى حية واؤمن بذلك لاسباب ثلاثة : اولا : ان قوة الشعب البشناقى وقوة البوسنة فى نمو مطرد ، وثانيا ان صربيا ستبقى فى حالة ضعف واضطراب لفترة طويلة وثالثا : ان التحول الديمقراطى بكرواتيا يتقدم بخطى ثابتة ومعنى هذا ان الدولتين القويتين المجاورتين الطامعتين فى البوسنة لن يكون لها اثر فعال ومن ثم لن تستطيع صربيا تدمير البوسنة ولن تريد كرواتيا تدميرها بكلام اخر اقول ان نمو قوتنا الداخلية فى اطار صربيا ضعيفة وكرواتيا ديمقراطية (من الخارج) هى رؤيتى وتصورى التاريخى الذى اراة يتحقق امامى فى هذة المنطقة فى هذا الوضع التاريخى سوف تبقى البوسنة وسوف تؤكد نفسها تدريجيا كدولة ديمقراطية موحدة

- سيدران ماذا عن رؤيتك للبوسنة سنة 2030؟

- عزت بيجوفيتش كيف يتسنى لى ا اعرف ما سيحدث بعد ثلاثين اربعين سنة قادمة اعلم ان بعض الناس يؤكدون ان تغيرات هائلة ستحدث فى العالم واعتقد ان اوروبا ستكون مقاطعة واحدة وان الشرق القصى سيكون مركز العالم وان امريكا ستفقد سيطرتها فى العالم بسبب سقوطها الاخلاقى هذا هو السياق العالمى الذى ستعيش فية البوسنة ولكنى لا اعتقد ان التاثير القادم من بعيد سيكون على مستوى التاثير المباشر لجاريها الصربى والكرواتى كما اعتقد جازما ان كرواتيا خلال خمسة عشر عاما ستجعل من نفسها دولة ديمقراطية حديثة بينما ستبقى صربيا مضطربة لزمن طويل وفى هذا المناخ ستجد البوسنة فرصتها للبقاء والنمو كما سبق ان ذكرت

الاسلام والاصولية

فى محاضرة القاها عزت بيجوفيتش امام الجمعية الالمانية للشؤن الخارجية فى بون (بتاريخ 17 مارس 1995) قال احب ان الفت النظر الى حقيقة وجود قوى فاشية على جانبى البوسنة فى صربيا وكرواتيا وهم جميعا يفخرون بتبنى مفاهيم قومية مغلقة دين واحد وحزب واحد وتهب علينا رياح من الجانبين تريد ان تطفئ هذة الشعلة الصغيرة التى اضاءها شعبنا فى ارض البوسنة التى تحررت هؤلاء هم انفسهم الذين يهاجمون ما يسمونة بالاصولية الاسلامية ويزعمون انهم يقومون بدور المدافع عن اوروبا من الخطر الاسلامى ولعل هذة فرصة مناسبة لالقاء الضوء على ما يسمونة اصولية اسلامية فى البوسنة ولكنى اود اولا ان انبة الحقيقة هامة وهو انة لا ينبغى لكم ان تسمحوا لهؤلاء الفاشيين بالدفاع عنكم حتى من خطر الاصولية الاسلامية فانا لا اظن ان اوروبا قد انحط شانها لدرجة انها تتوقع من الذين دمروا الاماكن المقدسة والاثار الثقافية والتاريخية ان يقوموا بحماية اوروبا من اى شئ نعم يوجد فى البوسنة اسلام ولكن لا يوجد فيها اصولية فاذا كان هناك من لا يستطيع ان يفرق بين الاسلام والاصولية فتلك مشكلتة الخاصة لقد استيقظ الدين فى نفوس الناس بعد خمسين

عاما من القمع الشيوعى وهذة العملية جزئ من اليقظة الوطنية للشعب البوشناقى وسوف تستمر ولكن الاحياء الدينى فى البوسنة لن يكون متطرفا راديكاليا لانة احياء طبيعى حر وقد لعبا دورا ايجابيا فى انسنة نظالنا من اجل تالحرية فالدين يؤكد الفرق بين الخير والشر بين الحلال والحرام وقد كان كل ما اصابنا من ظلم ودمار يدفعنا لانتقام لاضابط لة ولكننا بحمد اللة لم نتورط فى غواية الانتقام بل انتصرنا عليها وذلك بفضل استمساكنا بقيادتنا الدينية فهل هذة اصولية ؟ هذا التضليل الذى يخلط بين الايمان والاصولية لا يزال معلقا فوق رؤس البوسنة بفضل لصمت والقبول المتبادل بين المعتدى والغرب فالمصلحة واحدة وان اختلفت الاسباب مصلحة المعتدى الصربى هى ان يحول بين الغرب وبين ان يقوم بواجبة فى مساعدة البوسنة المدمرة وذلك باستخدام خدعة التخويف من الاصولية الاسلامية ومصلحة الغرب هى انة قد وجد مبررا لسلبيتة ونكوصة عن القيام بواجبة الانسانى نحو البوسنة المعتدى عليها

فى اخر المحاضرة قال عزت بيجوفيتش اسمحوا لى ببعض ملاحظات شخصية لقد جئت هنا بصفتى الرسمية كرئيس لجمهورية البوسنة ولكن لناذا لا اقولها بصراحة اننى جئت الى هنا ايضا كمسلم من البوسنة فانا اشعر باننى مسلم قدر شعورى باننى اوروبى ، ولا اظن ان احدهما يستبعد الاخر ولست ارى بين الناس وبين الحضارات تختلافات تمنع من التواصل والتوافق فاذا كانت كل حضارة هى بصفة اولية مجموعة من القيم الاخلاقية فمن حقنا ان نتحدث عن امكانية قيام وحدة بين الحضارات الا نستطيع ان نتفق جميعا فى هذا المجال على مبدا المساواة الانسانية ؟ وفى القران اية تقول (تعالوا ال كلمة سواء بيننا وبينكم ....) والدعوة هنا موجهة الى اليهود والنصارى ، ولذلك ادعوكم ان تسقطوا دعوى اقامة حواجز صناعية عدائية بين المسيحية والاسلام بين الشرق والغرب ثم دققوا النظر لترو التعصبات الكامنة وراء الانانية والظلم الغربيين وسوف ترون ايضا ان كثيرا من الاختلافات التى تستشعرون فداحتها ليست فى الحقيقة اختلافات جوهرية وان مصدرها الاختلاف فى المستوى الثقافى ودرجة النمو الاجتماعى اننى مسلم اوروبى واشعر بارتياح كامل واتساق ازاء هذة الحقيقة

مجرد رئيس انتخبة الشعب

فى مقابلة مع صحفى فى مجلة ((دانى الاسبوعية)) الصادرة فى سرايبفو بتاريخ 11 ديسمبر 1994 وكانت الحرب فى البوسنة على اشدها حيث بدات كفة البشناق ترجح فى القتال ليحققوا انتصارات مفاجئة ويزحفوا لتحرير مساحات شاسعة من ارض البوسنة سال الصحفى عزت بيجوفيتشقال سيدى الرئيس ان قيادتك العبقرية لشعب البوسنة لا جدال فيها فلست رئيسا لحزب ولا رئيسا لجمهورية فقط ولكنك اصبحت رمزا للشعب البوشناقى ومع ذلك اغامر بهذا السؤال : ماذا بعد عزت بيجوفيتش؟ اننى اسالك هذا السؤال وانا اعلم ان لك محبين كثر كما ان لك كارهين ايضا ولكنهم متفقون جميعا على انكط احد العوامل الحاسمة فى الدفاع عن الشعب والحفاظ علية

- عزت بيجوفيتش: اظنك تبالغ كثيرا فانا مجرد رئيس اختارة الشعب فى انتخاب حر واعرف بالضبط ما يعنية هذا

الختيار وما ينطوى علية من مسؤليات اننى اشعر من كلامك بالاطراء ولكن هناك ما يبرر شعورى بالحزن وربما بالغضب ايضا فانا اخالفك فى فكرة اننى على هذا القدر من الاهمية بالنسبة للدفاع عن الشعب البوشناقى واحمد اللة ان هذا غير صحيح لقد هب الناس بالالوف يقاتلون ويدافعون عن وطنهم ضد العدوان نعم لقد جعلت ذلك عليهم ايسر ولكن كان فى استطاعتهم ان يحاربوا بدونى وسوف يستمرون فى القتال من بعدى لقد استطاع المقاتلون المسلمون فى ((جراداكاتش)) فى نوفمبر 1992 ان يهزموا اعداءهم ويحرروها فماذا فعلت لهم ؟ القليل ... اما هم فقد قاموا وحدهم بالتخطيط والدفاع وقد انتصروا وكذلك بالنسبة لاعادة بناء الصناعات العسكرية المدمرة كانت كلها بجهود ومبادرات عبقرية من قبل مجموعات محلية وبدون كثير من مساعدة ...

بين الحرية والتطرف

تحدث الصحفى واسمة بتشانين عن الاتهامات الموجهة الى حزب العمل الحزب الحاكم وكيف ان البريطانيين يدعون الى تصفيتة على اساس انة حزب قومى متطرف مثل الحزبين الاخرين الصربى والكرواتى وكان رد عزت بيجوفيتش موجزا وبليغا قال لم يكن فى حزب العمل الديمقراطى تطرف ولن يكون طالما ظل الاسلام حرا فى البوسنة اما اذا كنت قد لاحظت حالات فردية من التطرف فهذا امر عادى يحدث فى كل بلاد الدنيا

سال بتشانين معقبا : اذا بماذا تفسر زيادة الوهابيين السلفيين واولئك الذين يؤيدون طالبان علنا

- **عزت بيجوفيتش ((فهمى للاسلام واضح ومعروف وهو مختلف عن فهم هؤلاء الناس فانا لا اعتقد ان المراة يجب ان تغطى وجهها بل اننى اعارض ذلك وقد زرت الحرم المكى فلم اجد امراة تغطى وجهها الا فيما ندر فلماذا تغطى المراة وجهها فى سراييفو ؟ انا لا اعرف انا لا اعرف ان فى البوسنة الكثير من الوهابيين وطالما انهم لا يستخدمون وسائل غير قانونية فهم احرار فى بلد حر)) ثم وجة الكلام الى الصحفى فقال: اذا كنت يا سيد بتشانين تقول وتكتب وتعارض كما تشاء فلماذا لا يفعلون هم ايضا بنفس الحرية ؟ هذة الاراء التى يطرحونها تصبح موضع اهتمام السلطات فقط عندما يبدا اصحابها فرضها بالقوة واستخدام العنف**

استعادة الهوية

فى لقطة واحدة قصيرة يطوى تاريخ البوسنة فى مائة عام حتى اللحظة الراهنة حيث وقع الانقلاب الاخير يقول عزت بيجوفيتش : خلال مائة عام تحت انظمة اوربية عانينا بسبب اسلامنا وكان التدمير المنظم موجها نحو هويتنا وعدنا الى جذورنا الاسلامية الاولى .. لذلك لم يعد هناك سبب ولا يحق لنا ان ننظر الى المستقبل بياس ولعل العدوان الغاشم الذى وقع علينا كان عقوبة الهية لتقصيرنا فى جنب اللة ولكننا جاهدنا جهادا كبيرا لاستخلاص حريتنا وقد كافانا اللة بالنصر اننا نؤمن ان الامم القوية هى التى تصاب بمحن كبيرة وهى التى

تعتصم بمبادئ الاخلاق والاخلاص لهويتها وتظل مع ذلك مفتوحة على العالم فى احلك الظروف وهذا ما اتمناة لشعبى ولكل الشعوب المسلمة فى العالم .

الاسلام والحضارة الغربية

فى حديثة عن العلاقة بين الاسلام والحضارة الغربية يقول يواجة المسلمون اختيارا صعبا لابد ان يتجنبوا فية اختيار احد طرفين متعارضين : الرفض التام للحضارة الغربية واتباعها اتباعا اعمى ، فكلاهما خطر بنفس القدر فرفض الحضارة الغربية برمتها سيبقى ضعفا الى الابد واذا اخذناها كلها بلا تمييز بين غثها وثمينها فسوف نفقد هويتنا ولا ينبغى ان يغيب عن وعينا ان الحضارة الغربية انما هى ثمرة جهود علماء كثيرين ينتمون الى اديان مختلفة وشعوب مختلفة وان قوة الغرب لا تكمن فى قوتة العسكرية والاقتصادية فحسب فهذا هو الجانب البرانى منها اما جانبها الجوانى فيتجلى فى التفكير النقدى وهذا هو ما يجب ان نتبناة على الفور ونتقنة والنقل الحرفى لمنتجات الحضارة الغربية وتقليده تقليدا اعمى يصيب الناقل المقلد بافة كامنة فى روحها وثقافتها تتمثل فى الصورة التاريخية للعالم كما تراة هذة الحضارة وكراهية الاسلام جزء من هذة الروح والثقافة التى تغذت قرونا باحقاد الحروب الصليبية والغزوات الاستعمارية على العالم الاسلامى ، وامتصاص هذة الروح العدائية يخلق عقدة نقص نلمسها فى اجيال المسلمين تعلموا فى الغرب وانبهروا بقوتة وتقدمة ، ومن هنا جاء احتقارهم لمجتمعاتهم المختلفة ورفضهم لثقافتهم الاسلامية واذا قمنا بدراسة الصراع الدائر اليوم فى المجتمعات المسلمة فسوف نتحقق ان جوهر الصراع يدور بين دعاة الحداثة المنحازين للغرب وبين المحافظين التقليديين هذا الصراع هو الذى مزق المجتمعات المسلمة وانتهى بها الى نهاية مأساوية محزنة.

فكرتان عظيمتان

واود هنا ان اعرض لفكرتين عظيمتين معاصرتين انبثقا فى الفكر الغربى : يدعو الى الفكرة الاولى كارل بوبر فى كتابة مجتمع مفتوح واعداءة من سمات هذا المجتمع الاساسية : حرية الفرد والنمو الشخصى والتفكير الحر والحق فلاى نقد النظم السياسية والتبادل الحر للاراء ولست اجد فى دين المسلمين ما يحول بينهم وبين الاخذ بهذة الفكرة واضافة الى ذلك فان بوبر يحث على التسامح ويقف ضد السلوك البربرى فى اوروبا الذى يعانى منة المسلمون فى القارة

اما الفكرة الثانية فتتمثل فى الدعوة الى عصر نهضة ثان فى اوروبا صاحب هذة الفكرة هو الفليسوف الالمانى ويتساكر Weizsacker ويتميز هذا العصر عن عصر النهضة الاول فى ان توجهة الى عوالم وثقافات خارج اوروبا هذا التحول الجديد نحو الخارج والانفتاح على ثقافات شعوبة يجعل للاسلام وثقافتة موضوعا محتملا فى اطار الاهتمام الاوروبى فى هذا المجال يسوق عزت بيجوفيتش اية قرانية من صورة المائدة لها دلالة ملفتة للنظر (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء اللة لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم في ما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى اللة مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فية تختلفون) ويعلق عزت

بيجوفيتش على هذة الاية فيقول نحن لا نستطيع ان ندخل فى حلبة السباق الى الخيرات ونقنع الاخرين بجدارتنا وبما نملك من قيم عظيمة مالم نقو هويتنا او بالاحرى وعينا بهويتنا الخاصة فالمسلمون الواعون وحدهم هم القادرون على الاخذ والعطاء دون ان يلقوا بقيمهم الاسلامية وراء ظهورهم اما الذين انسلخوا من هويتهم ووطنوا انفسهم على الاخذ فقط فهؤلاء هم المتسولون الذين لا يحظون باهتمام الاخرين او احترامهم

مسلم اوروبى

فى لقاء مع مندوب صحيفة تشيرن الالمانية فى 5 نوفمبر 1994 سالة الصحفى السيد لرئيس انت معروف كمسلم حريص على التقاليد الاوربية والتسامح الاوربى والمنفتح على العالم باسرة ولكن هناك تقارير فى الصحافة الاوربية تقول ان هناك الان اسلمة جارية فى البوسنة والهرسك ... فهل هذة مجرد شائعات ؟ عزت بيجوفيتش سوف اوكون معك شديد الصراحة واقول لك : لا ليست هذة شائعات بل حقيقة فالعودى الى الدين اصبحت ظاهرة عالمية فى كل مكان تمكن الشيوعيين فية من قمع الدين على مدى خمسين السبعين سنة ماضية نعم هناك اسلمة فى البوسنة كما تسميها وهى صحوة اسلامية ولكن هناك فى البوسنة بنفس القدر صحوة ارثوذكسية وصحوة كاثوليكية والفرق ان عودة المسيحيين الى دينهم لم تلفت نظر اوروبا المسيحية وهذا امر افهمة ولا الومها علية اود فقط ان اصحح فى نقطة واحدة وهى ان تسامحى الذى تتحدث عنة ليس مردة الى كونى اوروبى وانما مصدرة الاصيل هو الاسلام فاذا كنت متسامحا حقا كما تقول فذلك لاننى اولا وقبل كل شئ مسلم ثم بعد ذلك اوروبى .

لقد لاحظت من تجربتى فى حرب البوسنة ان اوروبا لديها اوهام تعجز عن التحرر منها رغم الحقائق الدامغة فقد دمرت اثناء هذة الحرب مئات المساجد والكنائس كلها بلا استثناء دمرها مسيحيون ولم يدمر المسلمون كنيسة واحدة وقبل ذلك حكم الاتراك العثمانيون وهم مسلمون البلقان خمسمائة سنة فلم يهدموا كنيسة ولا ابادوا شعبا من الشعوب وحافظوا على الاثار المعمارية وعلى الاديرة الشهيرة فى جبال فروشكا جورا قريبا من بلجراد ولكنها لم تصمد ثلاثة اعوام فقط تحت الحكم الاوروبى فقد دمرها الشيوعيون والفاشيون خلال الحرب العالمية الثانية ... ولم يكن هؤلاء الشيوعيون والفاشيون الذين ارتكبوا هذة الجريمة من اسيا بل من قلب اوروبا وحتى هذة اللحظة لوم تبد اوروبا حساسية كافية ضد الفاشية المتصاعدة فى البلقان بل وقفت تتفرج على الدمار الذى الحقة الصرب فى البوسنة اننى اعتز باوروبا واحمل لها كل تقدير وانا اوروبى ولا استطيع ان اتخلص من جلدى ولكنى اقرر ان اوروبا لديها فكرة عن نفسها اعلى بكثير من حقيقتها !

هوامش:

(1) عزت بيجوفيتش :مذكرات

Inescapable Izetbegovic Alija

Questions: Autobiographical notes

Leicester eng The Islamic Foundation 2003

2- نفس المصدر ص11

3- محمد يوسف عدس كوسوفا بين الحقائق التاريخية والاساطير الصربية ، القاهرة : دار المختار الاسلامى 2000 ص171.172

4- انظر مذكرات عزت بيجوفيتش، ص 25-85

5- انظر جان ويليم هونج(سربرينيتشا)

Honig Jan Willem and Norbert Both

Srebrenica: Record of war crime

London: Penguin Book 1996

6- انظر كتاب تزييف حرب ص201- 249

Forging War: the Media in Serbia, Croatia and Bosnia Hercegovina:

Article 19 International Centre Against Censorship , 1994.

7- انظر وثيقة الامم المتحدة فى كتاب محمد يوسف عدس البوسنة فى قلب اعصار القاهرة المختار الاسلامى ،2000 ص212. 217

8- انظر نفس المصدر ص213

9- انظر نفس المصرد ص163.179

10- انظر نويل مالكوم ص 127